

فلسطين منذ العصر الحجري القديم الأدنى حتى نهاية فترة الثقافة النطوفية

أ.د. صلاح حسين أحمد الهودلية

كلية الآداب - جامعة القدس

ملخص

يتناول هذا البحث آثار فلسطين منذ العصر الحجري القديم الأدنى حتى نهاية الثقافة النطوفية (٥, ١ مليون - ٩, ٦٥٠ قبل الميلاد)؛ وذلك اعتماداً على نتائج أعمال التنقيبات الأثرية التي أجريت في العديد من المواقع والمعالم الأثرية الفلسطينية ومن دول الجوار على مدار المئة عام الماضية. ويهدف هذا البحث إلى إظهار تداعيات التغيرات المناخية التي رافقت هذه العصور على أنماط ووسائل المعيشة، وإلى عرض أهم المتغيرات الفكرية والهادية لكل عصر منها ضمن قصة سردية مبسطة تتيح للقارئ تتبع منحنيات التغير على التركيبية المجتمعية، والفكر الديني، وعناصر الاقتصاد، وتقنيات تصنيع الأدوات والأواني ذات الاستخدام اليومي، والطرز المعمارية، وطرز المدافن، وما ترافق معها من مرفقات جنائزية. وقد تم الاعتماد في كتابة هذا البحث على مراجعة الأدبيات ذات العلاقة بالعصور الحجرية في منطقة الدراسة.

الكلمات المفتاحية: العصور الحجرية، الكبارية، النطوفية، الفنون، الدفن الأولى والثانوي، فلسطين.

Abstract

This research deals with the antiquities of Palestine from the Lower Paleolithic period until the end of the Natufian culture (1.5 million–9,650 BC), based on the results of archaeological excavations conducted at many Palestinian archaeological sites and natural caves plus shelters, as well as in neighboring countries over the past hundred years. This research aims to show the repercussions of the climate changes that accompanied these periods on patterns and means of living, and to present the most important intellectual and material variables for each period within a simplified narrative story that allows the reader to trace the curves of change in societal structure, religious thought, elements of the economy, and techniques for manufacturing relevant tools and utensils. Architectural styles, burial styles, and the accompanying funerary enclosures all play a significant role in daily life. In writing this research, we relied on reviewing relevant literature on the Stone Ages in the studied area.

Keywords: Stone Ages, Kebaran, Natufian, arts, primary and secondary burial, Palestine.

مقدمة:

لعب موقع فلسطين في الجزء الجنوبي-الغربي من قارة آسيا دورًا مهمًا في صياغة تاريخها وما ترتب معه من قصة سردية، والتي تعبر عن ذاكرة الزمان والمكان في كل حلقات الوجود البشري^(١). وتشكل فلسطين جزءًا من بلاد الشام (سوريا الكبرى)، والتي تُقسم بدورها إلى منطقتين اثنتين: شمالية (سوريا، ولبنان)، وجنوبية (فلسطين، والأردن). حظيت بلاد الشام بتنوع أقاليمها الطبيعية لتشمل الساحل، والسهول، والمرتفعات الجبلية، والأغوار، والصحراء، وشبه الصحراء؛ وبالتالي، فقد ساد فيها بيئات طبيعية متعددة. وقد لعب هذا التباين دورًا كبيرًا في توزيع السكان، وفي كثافة المعالم والمواقع المأهولة ابتداءً من العصر الحجري القديم الأدنى وحتى الوقت الراهن. وعلى الرغم من هذا التباين الذي أدى إلى بروز خصوصيات إقليمية وبيئية، إلا إن منطقتي بلاد الشام قد شكلتا وحدة حضارية انعكست من خلال وسائل المعيشة، ونمط الحياة، والأدوات والأواني ذات الاستخدام اليومي، والمعتقدات والممارسات الدينية، وطرز الدفن والعادات الجنائزية، والعمارة المدنية والدينية، وسواها^(٢). ولكون هذا البحث يركز بشكل رئيس على فلسطين، فإننا نعرض فيه بعضًا من الشواهد المادية التي تم الكشف عنها أثناء الأعمال الأثرية الميدانية في مواقع فلسطينية مع الميل إلى مقارنتها بمواقع شامية أخرى حيث تقتضي الضرورة.

تتكون تضاريس فلسطين من أربعة أقاليم رئيسية، تشتمل على سهول ساحلية: السهل الساحلي الشمالي (سهل عكا)، والسهل الساحلي الجنوبي، وأخرى داخلية: سهل البطوف، ومرج بن عامر، ووادي الحوارث، وحوض وادي الفالق؛ وسلسلة مرتفعات جبلية: جبال الجليل، وسلسلة الجبال الوسطى، وجبال النقب؛ وحوض نهر الأردن: سهل الحولة، وبحيرة طبريا، ونهر الأردن والأغوار، والبحر الميت، بالإضافة إلى وادي عربة؛ أما الإقليم الرابع،

فيتشكل من صحراء النقب بشقيها الشمالي والجنوبي. ولهذه التضاريس انعكاس مباشر على المناخ والتربة والنبات والحيوان والإنسان منذ العصور الحجرية حتى الوقت الحاضر^(٣). وقد أظهرت نتائج التنقيبات الأثرية التي أجريت على مدار أكثر من قرن من الزمن في عدد كبير من مواقع هذه الأقاليم إلى أن إنسان العصر الحجري القديم سكن في كهوفها وملاجئها الصخرية الطبيعية، وأنشأ بعضاً من المخيمات الصغيرة والمؤقتة فيها؛ ولكنه قام خلال المرحلة الانتقالية بين العصر الحجري القديم الأعلى والعصر الحجري الحديث بتأسيس قرى دائمة صغيرة المساحة سرعان ما تحولت غالبيتها إلى قرى زراعية مع بدايات العصر الحجري الحديث^(٤).

تقسم العصور الحجرية، والتي تعرف أيضاً باسم عصور ما قبل التاريخ، إلى أربعة عصور رئيسية، وهي: العصر الحجري القديم (Paleolithic)، والمرحلة الانتقالية (Epipaleolithic)، والعصر الحجري الحديث (Neolithic) ما قبل الفخاري والفخاري، والعصر الحجري النحاسي (Chalcolithic). وقد اعتمد الباحثون في هذا التقسيم على نمط المعيشة، ووسائل الإنتاج، والبيئات القديمة، والجيولوجيا، والمتحجرات، وأشكال الأدوات والأواني الحجرية وتقنية صناعتها، وطرز المدافن والعادات الجنائزية، والبقايا النباتية والحيوانية (برية أم مدجنة)، والفنون، والصناعات الصلصالية والعظمية والمعدنية، والطرز المعمارية، عوضاً عن الدراسات المخبرية للعظام البشرية والحيوانية والبقايا والنباتية.

والملفت للنظر بأن دراسة آثار العصور الحجرية في فلسطين قد بدأت في فترة متأخرة نسبياً عنها لآثار العصور التاريخية؛ وذلك بسبب أن معظم العاملين الأوائل في حقل الآثار كانوا متأثرين بفلسفة المدرسة التوراتية التي كانت تهدف إلى الكشف عما يدل على ما ورد في التوراة، وخصوصاً تلك المواقع التي تؤرخ إلى العصر الحديدي. وتعتبر العشرينيات

والثلاثينيات من القرن الماضي هي البداية الفعلية لدراسة آثار العصور الحجرية، حيث قام تورفيل بتري بالتنقيب في مغارة الزطية (١٩٢٥م)، ومغارة الكبارة (١٩٣١م)، وقامت دوروثيا جارود بالتنقيب في مغارة شقبا (١٩٢٨م)، ومغارة الطابون ومغارة السخول (١٩٢٩-١٩٣٤م)، وقام رينه نوفيل بالتنقيب في مغارة أبو سيف/ مسليا، ومغارة أم ناقوص، ومغارة الطابون، ومغارة قفزة (١٩٢٨-١٩٣٢م). ومع بداية الخمسينيات من نفس القرن، زاد الاهتمام بدراسة آثار العصور الحجرية، حيث استهدف عدد من بعثات التنقيب بعض الكهوف الطبيعية التي حفرت أو التي لم تحفر من ذي قبل، واهتمت بعثات أخرى بدراسة مواقع المخيمات الموسمية الموجودة في الأماكن المفتوحة^(٥).

العصر الحجري القديم:

يقسم هذا العصر إلى ثلاث مراحل رئيسية، وهي: العصر الحجري القديم الأدنى (٥, ١ مليون سنة - ٢٥٠, ٠٠٠ ق.م)، والعصر الحجري القديم الأوسط (٢٥٠, ٠٠٠ - ٤٠, ٠٠٠ ق.م)، والعصر الحجري القديم الأعلى (٤٠, ٠٠٠ - ٢٣, ٠٠٠ ق.م)^(٦). وقد عاصرت هذه المراحل الزمن الجيولوجي المعروف باسم البلايستوسين، الذي كان جليدياً في أماكن معينة من العالم، وماطراً في أماكن أخرى؛ والذي شهد ظهور الإنسان بخطواته المتسارعة نحو التكيف مع الظروف المناخية المتذبذبة^(٧). حقيقة، إن تتبع البدايات الأولى لوجود الإنسان على ظهر الكرة الأرضية أمر في غاية الصعوبة، ولكن من المعتقد بأن "الإنسان الأول" قد عاش بادئ الأمر في أفريقيا بحدود ٢, ٥ - ٢ مليون سنة قبل الوقت الحالي^(٨)؛ وأنه مكث فيها ما يقارب نصف مليون سنة قبل أن تبدأ بعضاً من مجموعاته بمغادرتها تدريجياً إلى آسيا عبر فلسطين سالكة ممرين طبيعيين، هما: السهل الساحلي، وبمحاذاة حفرة الانهدام الأفرو-آسيوي. واعتماداً على الخصائص الفسيولوجية للهيكل العظمية المكتشفة في بلاد الشام، فقد تم تصنيف إنسان هذا

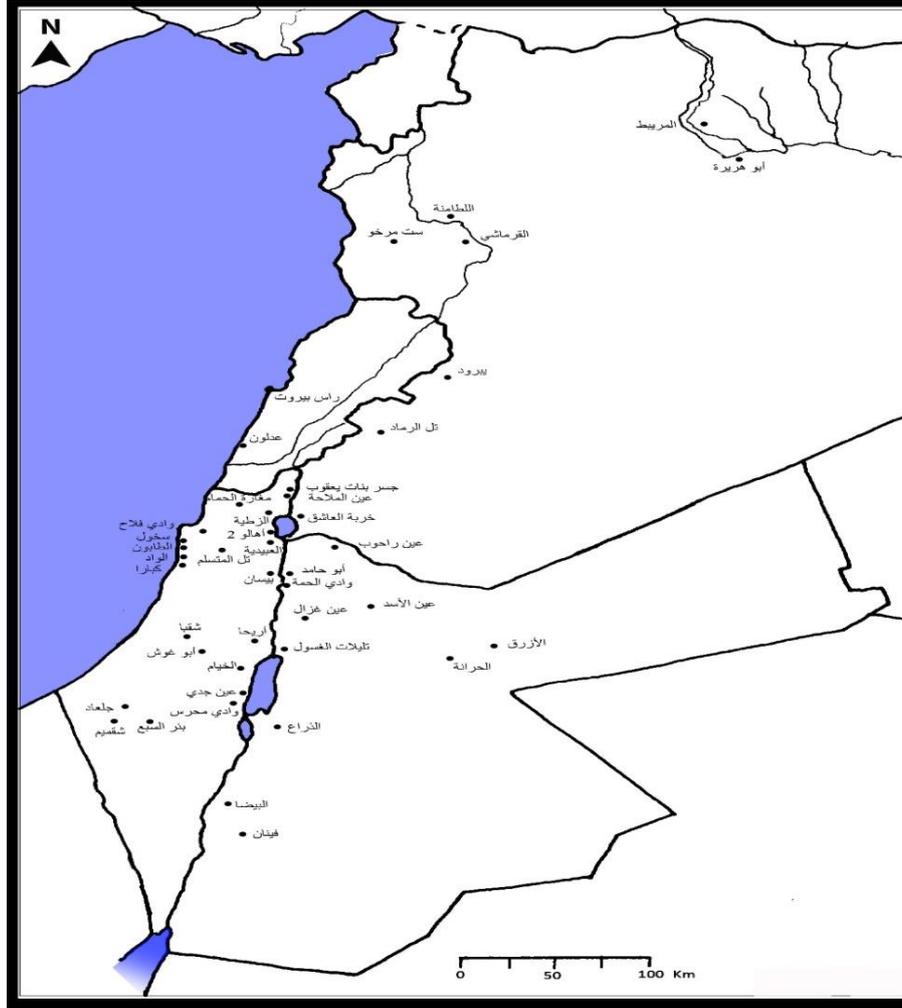
العصر إلى ثلاثة أصناف رئيسية: الهومو-أركتوس / منتصف القامة (العصر الحجري القديم الأدنى)، والنياندرتال (العصر الحجري القديم الأوسط)، والإنسان العاقل (العصر الحجري القديم الأعلى). ويمكن تلخيص أهم الفروق الفسيولوجية بين هذه الأصناف الثلاثة بالآتي: كان الهومو-أركتوس قصير القامة (١٥٠-١٦٠ سم في المعدل) بسعة دماغ صغيرة، وبجبهة مائلة للخلف، وكانت عظمتا الحاجبين بارزتين ومتصلتين مع بعضهما، ولكن عظمة ذقنه لم تكن قد تشكلت بعد. أما النياندرتال، فكان أطول قليلاً (١٦٠-١٦٥ سم في المعدل) وبسعة دماغ أكبر من سلفه، وأن جبهته كانت أقل ميلاناً للخلف وعظمتا الحاجبين أقل بروزاً بالمقارنة مع سلفه، بالإضافة إلى بروز بسيط لعظمة الذقن. أما الإنسان العاقل، والذي يتشابه كثيراً من الناحية الفسيولوجية مع الإنسان الحالي، فكان أطول من أسلافه (١٦٠-١٧٠ سم في المعدل)، وكانت جبهته مستقيمة، وعظمتا حاجبيه شبه بارزتين ولكنهما غير متصلتين مع بعضهما، وأن عظمة ذقنه كانت أكثر وضوحاً من ذي قبل^(٩).

تشير نتائج الأعمال الأثرية الميدانية إلى أن إنسان هذا العصر قد انتشر في كل أقاليم بلاد الشام، وخصوصاً إلى جوار مصادر المياه الدائمة، مثل: جبال الكرمل، والعيبيدية، وجسر بنات يعقوب، ومغارة الزطية، ومغارة أم قطفة (فلسطين)، وست مرخو، واللطامنة، ويبرود، والقرماشي، وبئر الهمل (سوريا)، وأبو هاييل، وعين الأسد، وجرف الدراويش، ووادي الحمة (الأردن)، وراس بيروت II، وعدلون، وكسار عقيل (لبنان) (شكل ١)^(١٠). وفيما يلي نقدم موجزاً عن نمط الاستقرار، ووسائل المعيشة، والأدوات الصوانية، والأعمال الفنية، وطرز الدفن والعادات الجنائزية لهذا العصر مع إظهار أهم ميزات كل مرحلة من مراحل الثلاث. يجمع الآثاريون على أن إنسان العصر الحجري القديم قد عاش في مجموعات بشرية قليلة العدد؛ وكان دائم التنقل من مكان إلى آخر تبعاً لتوفر عناصر الوجبة الغذائية اليومية الأساسية من نباتات وحيوانات، بالإضافة إلى توفر المناخ الملائم للعيش؛ ولهذا فقد عُرفوا باسم "الصيادين الأوائل" و"جامعي القوت". وقد قسّم Binford هذه

المجموعات بناءً على أنماط الاستيطان وإستراتيجيات التنقل إلى "طوافين" و"جامعين". وتتكون مجموعات الطوافين من أعداد بشرية قليلة، وتكون في حالة تنقل دائمة بحثاً عن الوجبة الغذائية ليجمع أفرادها ما توفره الطبيعة ليعودوا بها إلى مستقراتهم المؤقتة. أما الجامعون، فهم بعدد أكبر، ويميلون إلى الاستقرار النسبي، وكانوا يلجأون إلى تخزين الفائض عن الحاجة؛ بسبب عدم توفر كثير من الموارد الغذائية طيلة فصول السنة^(١١).

سكن إنسان العصر الحجري القديم في الكهوف الطبيعية، والملاجئ الصخرية، وأنشأ في بعض الأحيان مخيمات موسمية في المناطق المفتوحة. جاء عدد كبير من هذه الكهوف والملاجئ على شكل عناقيد في بعض المناطق مثل التي عثر عليها في وادي العمود، حيث تم تسجيل ١٢٠ مغارة وملجأ صخرياً في مساحة ٥, ٢ كم²؛ ولأن عدد الكهوف حينئذ كان أكثر من عدد المجموعات البشرية، فإن الإنسان كان يحسن الخيار في أي منها يسكن؛ وذلك اعتماداً على توفر شروط الحياة، وعلى مساحتها، وعلى سهولة الوصول إليها. بلا شك، إن استخدام الكهوف للإقامة الموسمية قد وفر العديد من المزايا لساكنيها مثل الحماية من البرد، وشدة الحرارة، والرياح، عوضاً عن الحيوانات المفترسة. شهد بعض من هذه الكهوف استمرارية السكن فيها عبر عشرات آلاف السنين مثل مغارة الطابون، ومغارة الحمام؛ وبعضها سكن لفترة قصيرة نسبياً مثل مغارة العمود (شكل ١). تتكون المواد الحضارية المكتشفة في الكهوف التي سكنت خلال العصرين القديم والأوسط من أدوات وشظايا صوانية، وبقايا عظام حيوانات، وقليل من البقايا النباتية؛ في حين أنها من العصر الحجري القديم الأعلى تتكون من المواد المذكورة أعلاه بالإضافة إلى الرماد والمواقد^(١٢). إن عدد مواقع المخيمات الموسمية الموجودة في المناطق المفتوحة من العصرين القديم الأدنى والأوسط هو عدد قليل بالمقارنة معه من العصر الحجري القديم الأعلى، وأهمها: العبيدية (وهو الموقع النموذجي والأكبر من حيث المساحة بالمقارنة مع بقية مواقع العصر الحجري القديم الأدنى)، وجسر بنات يعقوب (وهو الأكثر شهرة بين مواقع العصر الحجري القديم

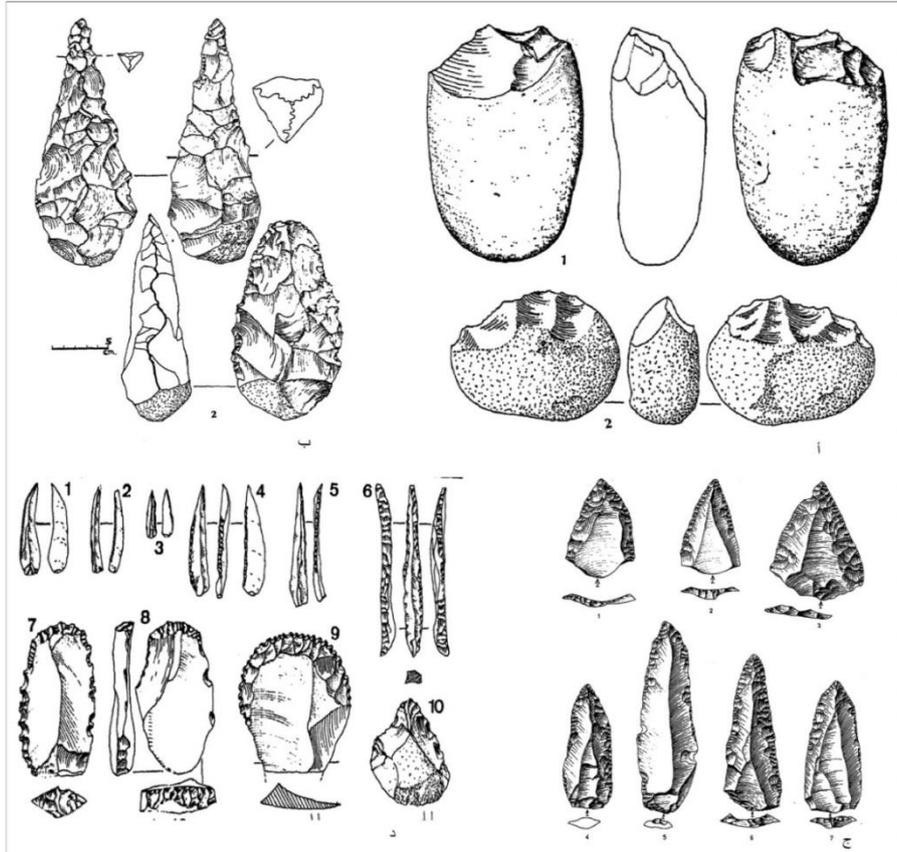
الأوسط (فلسطين)^(١٣)، واللطامنة، ويبرود، والقرماشي (سوريا)، وعدلون، وراس بيروت II (لبنان)، وعين الأسد، ومنطقة الأزرق (الأردن) (شكل ١).
ومن المعتقد بأن هذه المخيمات تكونت من أكواخ بنيت بشكل دائري بصف حجري واحد، وبأغصان الأشجار والأعشاب والجلود^(١٤).



شكل ١: المواقع الأثرية الرئيسة الواردة في هذا البحث، رسم إبراهيم إقريط.

صنع الإنسان خلال هذا العصر أدواته من الحجارة، والخشب، والعظم بشكل رئيس، إلا إن معظم الأدوات التي تم العثور عليها خلال الأعمال الأثرية كانت حجرية؛ ويعود السبب في ذلك إلى أن الأدوات المصنوعة من مواد عضوية قد تحللت بفعل الزمن. وأهم أشكال الأدوات الحجرية هي: القواطع، والمفارم، والفؤوس اليدوية، والمقاشط، والشفرات، والمدببات، ورؤوس السهام، والمناقيش. واعتمادًا على التطور في تقنية تصنيع هذه الأدوات عبر الزمن، فقد تم تقسيمها إلى عدة أصناف كان أقدمها الأييفيلية والأشولية، والتي صنعها الهومو- أركتس خلال العصر الحجري القديم الأدنى. وتمتاز الأدوات الأييفيلية (نسبة إلى موقع أيفيل الواقع في شمال فرنسا، حيث عثر عليها لأول مرة) بأنها مصنوعة من حصى الواد بحجم قبضة اليد، ومطروقة من أحد نهايتها الضيقتين لتشكيل حدًا قاطعًا (شكل ٢: أ). أما الأدوات الأشولية (نسبة إلى موقع سانت أشول في فرنسا، حيث عثر عليها لأول مرة)، فكانت مصنوعة من حجر الصوان ومُشذبة من جهتين تكون الأمامية حادة لتصلح للقطع، وتكون المقابلة لها محدبة ثلاثم الإمسك بقبضة اليد (شكل ٢: ب). وقام إنسان النياندرتال (العصر الحجري القديم الأوسط) بصناعة أدواته بتقنية جديدة عرفت بالموستيرية (نسبة إلى موقع لوموستيه في فرنسا، حيث عثر عليها لأول مرة). وتمتاز تقنية صناعة الأدوات الموستيرية بالطرق على النواة الحجرية الصوانية لاستخراج شظايا ليتم إعادة تشكيلها وتشذيبها بهدف صناعة أدوات صغيرة مثل المقاشط، والمدببات، ورؤوس السهام؛ بالإضافة إلى أن النواة نفسها كان يتم تشذيب حوافها لتكون حادة وقاطعة عند الاستخدام (شكل ٢: ج). وتشير نتائج الأعمال الأثرية الميدانية إلى أن الإنسان العاقل (العصر الحجري القديم الأعلى)، بدأ يستغني بالتدريج عن الأدوات الصوانية كبيرة الحجم، والتي كانت سائدة في العصر السابق، ليحل محلها النصال الطويلة التي يبلغ طولها ضعفي عرضها على الأقل (شكل ٢: د).

وقد تم التمييز بين نمطين من الصناعات الصوانية خلال هذا العصر، عرف الأول باسم الأحمرية (نسبة إلى عرق الأحمر، حيث عثر عليه لأول مرة)، والذي انتشر في جنوب فلسطين والأردن؛ وعرف الثاني باسم الأوريناسية الشمالية، والذي انتشر في مواقع وسط وشمال بلاد الشام^(١٥).



شكل ٢: أ. أدوات حجرية أيغيلية. ب. أدوات صوانية أشولية. ج. أدوات صوانية موستيرية. د. أدوات صوانية من العصر الحجري القديم الأعلى (بتصرف عن: المحيسن ١٩٨٩: شكل ١٢، شكل ١٨، شكل ٢٣، وشكل ٢٨).

اعتمد اقتصاد إنسان العصر الحجري القديم على ما تجود به الطبيعة من خيرات؛ فقام بصيد الحيوانات، والطيور، والأسماك، وجمع الخضار، وبذور النباتات الموسمية كالقمح والشعير، والتقط ثمار الأشجار كاللوز والزعرور. وقد اصطاد الإنسان في العصرين الحجري القديم الأدنى والأوسط عدة أنواع من الحيوانات الكبيرة، مثل: الفيل، والحصان، والحمار، والغزال، ووحيد القرن، وفرس البحر، والخنزير، والوعل للحصول على لحومها ولاستخدام جلودها وعظامها. وقد اهتمدى الهومو-أركتس إلى استخدام النار في تحضير وجبته الغذائية بغض النظر إذا ما كانت حيوانية أم نباتية. وفي العصر الحجري القديم الأعلى تراجع اعتماد الإنسان على لحوم الحيوانات الكبيرة التي كانت تُصطاد في العصرين السابقين ليركز أكثر على صيد الماعز الجبلي، والغزلان، والسمك، والطيور، بالإضافة إلى جمع والتقاط بذور وثمار النباتات والأشجار البرية. وتجدر الإشارة إلى أنه تم العثور في بعض مواقع العصر الحجري القديم الأعلى على أدوات طحن وجرش الحبوب البرية، الأمر الذي يؤشر إلى حدوث تطور في طريقة تحضير الوجبة الغذائية النباتية^(١٦). عرف الإنسان خلال هذا العصر تقسيم العمل حسب الجنس والعمر، فقام الرجال بصيد الحيوانات، واعتنت النساء بشؤون الأسرة والمسكن، وشارك الأطفال بجمع بذور النباتات والتقاط ثمار الأشجار. وقد اتسم هذا الاقتصاد بـ "المشاعية البدائية"، حيث كان من كل فرد حسب طاقته، ولكل فرد حسب حاجته^(١٧).

استنادًا على نتائج التنقيبات الأثرية في عدة مواقع ومعالم أثرية في منطقة بلاد الشام، فإنه يمكن القول إن الطبقات الأثرية من العصرين الحجري القديم الأدنى والأوسط لم تحظ بوجود شواهد كثيرة دالة على صناعة الفن. ويعتبر فينوس بركة رام (سوريا)، والذي يؤرخ إلى الثقافة الأشولية، أحد أقدم الدمى الآدمية التي عثر عليها في هذه المنطقة حتى الآن؛ والذي يتكون من كتلة حجرية صغيرة، وعليها ثلاثة حوز نُقذت بشكل غائر لإظهار الرقبة

والصدر والذراعين^(١٨). أما الدليل الثاني، والذي يُؤرخ إلى الثقافة الموسستيرية، فقد تم العثور عليه في القنيطرة (الجولان السوري)؛ ويتكون من حجر بطول ٢, ٧سم، وعليه حوز دائرية غائرة مُتحدة المركز^(١٩). وكذلك الأمر بالنسبة إلى العصر الحجري القديم الأعلى، فلم يتم العثور على شواهد فنية كثيرة، كانت متباينة المادة الأولية. عثر في كهف الحمام (الجليل) على حُلي مصنوعة من أسنان (أنياب) حيوانات بعد ثقب جذورها لتثبيتها على الملابس أو تعليقها حول العنق^(٢٠)، وعلى كتلتين حجريتين محزنتين بشكل غائر لتُعطيا إبهات لأشكال حيوانية^(٢١). وعثر في ملجأ يبرود الثاني (إلى الشمال الشرقي من دمشق) على أصداف مثقوبة، الأمر الذي يعني بأنها كانت مستخدمة كحلي^(٢٢). كما عثر في ملجأ كسار عقيل (إلى الشمال الشرقي من بيروت) على عدة أصداف بحرية ونهرية مثقوبة استخدمت كحز أو قلائد^(٢٣)، بالإضافة إلى مثقب مصنوع من عظم الغزال ومُحز بشكل غائر^(٢٤).

لا تتوفر لدينا معطيات كثيرة عن طرز وآليات الدفن والعادات الجنائزية من العصر الحجري القديم سوى بعض القبور التي عثر عليها في مغاور القفزة، والسخول، والكبارة، والطابون. ويظهر بأن الإنسان قد قام بدفن موتاه في حفر بسيطة في مكان الإقامة إما بشكل فردي أو جماعي، ولكن بهيئة القرفصاء (هيئة الجنين في الرحم)، وزودهم بمرفقات جنائزية. وقد شملت هذه المرفقات على الأدوات الحجرية، وفي بعض الحالات على الغزال^(٢٥)، والصدف، وقرن الحيوانات^(٢٦). ويمكننا الاستدلال من هذه المقابر وما تحتويه من مرفقات متنوعة على وجود عقيدة دينية سادت خلال هذا العصر. وتعتبر مغارة القفزة الموجودة بالقرب من الناصرة، والتي تبلغ مساحتها ١٧ م X ٢٧ م وعرض مدخلها ٥ م، إحدى المغاور الطبيعية التي عثر في شرفتها الأمامية على بقايا عظمية بشرية تؤرخ إلى العصرين الحجري القديم الأوسط والأعلى. تعود هذه البقايا العظمية لخمسة وعشرين فرداً، بعضها كان مدفوناً بقصد في حفر، وغالبيتها كانت لا تُعبر عن هياكل عظمية مكتملة. ومن أهم هذه القبور، قبر مزدوج وقبر منفرد، وكلاهما

يؤرخ إلى العصر الحجري القديم الأوسط. يحتوي القبر المزدوج على هيكلين عظميين لشخصين، أحدهما بالغ والثاني طفل. كان الهيكل العظمي للبالغ بوضعية القرفصاء مستلقيًا على جانبه الأيسر، أما الهيكل العظمي للطفل فكان مستلقيًا على الظهر عند قدمي البالغ، وفخذه مشدودتان قليلا إلى البطن؛ ومن الراجح بأنهما دفنا في نفس الوقت، وإنهما أم وطفلها. أما القبر الثاني (المنفرد)، فهو مستطيل الشكل ومحفوف بحجارة من الجوانب، ويحتوي على هيكل عظمي لشخص كان بعمر ١٢-١٣ سنة عند وفاته؛ وكانت جمجمته مسنودة على جدار الحفرة، والجسد بوضعية القرفصاء، واليدين مثنيتان على جانبي الرقبة مع رفع راحة اليدين إلى الأعلى. كان بالقرب من جمجمة المدفون في هذا القبر جزء من جمجمة غزال، وكانت يده اليمنى ملامسة لها. وتشابه حالة إرفاق عظام حيوانية في هذا القبر، والتي تدلل على مرفقات جنائزية مقصودة، مع قبر ٥ في مغارة سخول، وقبر ٧ في مغارة العمود^(٢٧).

المرحلة الانتقالية بين العصر الحجري القديم الأعلى

والعصر الحجري الحديث:

ترافق مع هذه المرحلة عدة تغيرات بيئية، فبينما كان يسود في بلاد الشام قبيل بداية هذه المرحلة مناخ بارد قلّ فيه معدل درجات الحرارة حوالي ٩ درجات مئوية عما هو عليه حاليًا، فقد شهدت هذه البلاد مع بداية هذه المرحلة ارتفاعًا في درجات الحرارة، وزاد تحسن الأحوال الجوية بشكل ملحوظ في زمن الهلوسين (بدايته في ١١,٠٠٠ ق.م تقريبًا)؛ الأمر الذي أدى إلى خروج العديد من المجموعات البشرية بالتدريج من الكهوف للسكن في قرى ثابتة. وتمتد هذه المرحلة من ٢٣,٠٠٠ - ٩,٦٥٠ ق.م، وتتكون من ثقافتين رئيسيتين، هما: الكبارية، والنطوفية^(٢٨).

أولاً: الثقافة الكبارية:

أطلقت هذه التسمية في ثلاثينيات القرن الماضي نسبة إلى مغارة الكبارة الواقعة في جبال الكرم، حيث عثر على أشكال جديدة من الأدوات الصوانية التي لم تكن معروفة من ذي قبل. وبناءً على دراسة هذه الأدوات من هذا الموقع، ومواقع أخرى جرى التنقيب فيها لاحقاً^(٢٩)، فقد تم تقسيم هذه الثقافة إلى مرحلتين متتاليتين، هما: الكبارية العادية (٢٣,٠٠٠ - ١٧,٠٠٠ ق.م)، والكبارية الهندسية (١٧,٠٠٠ - ١٣,٠٠٠ ق.م)^(٣٠). أقيمت قرى هذه الثقافة، والتي تُعرف باسم قرى الصيادين، في بيئات مختلفة إلى جوار مصادر مائية دائمة تكثر فيها الأصول البرية للعديد من النباتات والحيوانات، وبهذا، فإنه يمكن الاستنتاج بأن سكان هذه القرى قد مارسوا نشاطات يومية تختلف في طبيعتها حسب بيئة المنطقة المأهولة. واتسمت مساحة غالبية هذه القرى بأنها كانت صغيرة جداً، لذا يمكن اعتبارها مخيمات فصلية أقام الإنسان فيها حينما تتوفر مقومات الحياة في محيطها، وعندما تنضب هذه المقومات يهجرها الإنسان إلى مكان آخر، وربما يعود إليها مراراً وتكراراً^(٣١). وتصنف هذه القرى إلى نمطين اثنين: يتمثل الأول منهما بوجود أدوات وأواني حجرية، وبقايا أبنية سكنية؛ في حين أن ثانيهما - والذي يشكل السمة العامة لهذه الثقافة - يتمثل بوجود أدوات حجرية دون مخلفات معمارية^(٣٢).

وتشير مرحلة بواكير الخروج من الكهوف للسكن في قرى إلى أن الإنسان قام ببناء بيوتاً إلى الأمام من الكهوف كالتالي تم العثور عليها في مغارة الواد، وكهف الحمام، ووادي فلاح (أبو غنيمة ٢٠٠٠: ٨). وفيما يلي نعرض موقع سمخ (اوهالو II) كنموذج للقرى ذات البقايا المعمارية. تقع سمخ (اوهالو II) على الشاطئ الغربي لبحرية طبريا؛ وتبلغ مساحتها حوالي ٢٠٠٠ متراً مربعاً؛ وقد تم الكشف في طبقاتها الأثرية عن ستة بيوت (أكواخ)، وعن ستة مواقد، وعن عدة قبور،

بالإضافة إلى بقايا نباتية وحيوانية، وأدوات وأواني حجرية. جاء تخطيط هذه البيوت بشكل بيضاوي بمساحة داخلية تتراوح بين ٥, ٧ - ١٨ مترًا مربعًا، وبنيت جدرانها بجذوع وأغصان الأشجار دون أساسات حجرية، وكان مستوى أرضياتها منخفضًا عن مستوى المنطقة المحيطة. تكونت أرضية إحدى هذه الغرف من ثلاث طبقات فوق بعضها، الأمر الذي يعني بأنها سُكنت فترة زمنية طويلة نسبيًا تطلبت الحياة فيها عمل مصاطب جديدة. وعثر فوق أرضيات كل هذه البيوت على طبقة رمادية بسماكة ١٠ - ٢٠ سم، وتحتوي على كميات كبيرة من متفحمت نباتية، وهذا يقودنا إلى الاستنتاج بأن هذه البيوت قد تعرضت لحريق في آن واحد^(٣٣). ولكي لا يتبادر إلى الذهن بأن بيوت هذا العصر قد بنيت بالخشب فقط، نذكر بأنه تم استخدام الحجارة في بناء أساسات بعض البيوت التي تم الكشف عنها في خربة العاشق، والحراثة^(٣٤).

دفن الإنسان موتاه في حفر بسيطة داخل الكهوف التي يعيش فيها، أو تحت أرضيات البيوت بشكل فردي أو جماعي؛ وقد زودهم بمرفقات جنائزية مختلفة شملت على الأدوات الصوانية والعظمية، وأدوات طحن الحبوب، والمعرة الحمراء، وبعض من عظام الحيوانات، وأنوية قرون حيوانات، وحصى مزخرف، وصدف. وفي العادة كانت توضع هذه المرفقات إلى جوار الرأس والحوض. وقد جاءت معظم قبور هذه الثقافة أولية، واحتوت على هيكل عظمي واحد أو أكثر^(٣٥). ونستدل من وجود هذه المرفقات مع الأموات إلى أن عقيدة دينية ما قد سادت خلال فترة هذه الثقافة^(٣٦).

عثر في العديد من قرى الصيادين على كثير من الأدوات والأواني ذات الاستخدام اليومي، والتي انطوت على صناعات حجرية وعظمية بأشكال متعددة. شملت الأدوات الصوانية على البلطة، والفأس، والشفرات، وشفرات المناجل، والمدببات، ورؤوس السهام، والسكاكين، والمقاشط، والمخارز؛ بالإضافة إلى أدوات هندسية صغيرة، مثل: الهلاليات،

والمستطيلات، وشبه المنحرف^(٣٧). وعثر على أواني وأدوات بازلتية، مثل: المدق، والهاون، وأدوات الجرش والطحن؛ عوضًا عن أدوات الزينة المصنوعة من العظم، والصدف البحري^(٣٨).

ثانيًا: الثقافة النطوفية:

أطلقت هذه التسمية في أواخر العشرينيات من القرن الماضي نسبة إلى مغارة شقبا الواقعة على مقطع من وادي الناطوف الموجود في منطقة شمال-غرب محافظة رام الله والبيرة، حيث عثر في هذه المغارة على أدوات صوانية لم يسبق أن كشف عن نماذج منها في تنقيبات أثرية سابقة^(٣٩)؛ وقد أطلق جيمس ميلارت على هذه الثقافة تسمية "بروتونيوليت"^(٤٠). ومع توالي الاكتشافات الأثرية في مواقع مغلقة (كهوف)، وأخرى مفتوحة (قرى)^(٤١) فقد تم تقسيم هذه الثقافة إلى مرحلتين: مبكرة ومتأخرة (١٣,٠٠٠ - ٩,٦٥٠ ق.م)^(٤٢). وتتمثل أهمية هذه الثقافة في أنها شكلت حلقة وصل بين مجتمعات الصيادين الأوائل وجامعي وملتقطي بذور وثمار النباتات البرية من مرحلة الثقافة الكبارية وما سبقها من جهة، ومجتمعات المزارعين ومدجني الحيوانات والتجار في العصر الحجري الحديث من جهة أخرى. وتتسم هذه الثقافة بتأسيس قرى أقيمت في مناطق خصبة قريبة من مصادر مياه دائمة، والتي أقام فيها السكان غالبًا طيلة فصول السنة، وعلى مدار أجيال عدة. صحيح بأن الإنسان خلال الثقافة النطوفية بقي معتمدًا في اقتصاده على الصيد والجمع والالتقاط، إلا إنه ركز في صيده وجمعه على أنواع معينة من الحيوانات وبذور النباتات وثمار الأشجار^(٤٣). وقد تباينت الوجبة الغذائية تبعًا لتنوع البيئات الجغرافية التي عاش فيها الإنسان؛ وذلك لأن كل بيئة لها غطاؤها النباتي والحيواني^(٤٤)، بالإضافة إلى قرب التجمعات السكنية من مصادر المياه الدائمة التي توفر إمكانية صيد الأسماك^(٤٥). ويُعزى السبب الرئيس في زيادة النزعة

للاستقرار في قرى إلى التحسن في الظروف المناخية التي قادت إلى انتشار كثيف للغطائين النباتي والحيواني على مدار العام في محيط القرى المأهولة، وبهذا، أصبح لا حاجة للإنسان للترحال الدائم^(٤٦). وفي ظل استمرار بعض المجموعات البشرية بالسكن في الكهوف الطبيعية، فإن عدد قرى هذه الثقافة قد زاد، وانتشرت في كل أقاليم بلاد الشام. وكما كان الحال عليه في الثقافة الكبارية، فإن القرى النطوفية تصنف أيضًا إلى نمطين: قرى صغيرة مؤقتة خالية من البقايا المعمارية، وأخرى كبيرة دائمة تحتوي على كثير من البقايا المعمارية، وكان النمط الثاني سائدًا. وعلى سبيل المثال لا الحصر، فقد جاءت الشواهد على القرى الدائمة في كل من عين الملاحه (عينان)، ومصطبة وادي فلاح، ومصطبة مغارة الحمام، ومصطبة مغارة الواد (فلسطين)^(٤٧)، والبيضا، ووادي راحوب، والعسافات (الأردن)^(٤٨)، والمريبط، وأبو هريرة (سوريا)^(٤٩) (شكل ١). وقد اعتمد Boyd، كغيره من علماء الآثار والأنثروبولوجيين المهتمين بشأن العصور الحجرية، على عدة شواهد مادية تقود إلى الاعتقاد بوجود استقرار لمجموعة بشرية في حيز مكاني، وهي: وجود بقايا أبنية حجرية؛ ووجود أواني حجرية ثقيلة مثل الأجران المنحوتة في كتل حجرية بازلتية، أو المحفورة في سطح الصخر الطبيعي؛ ووجود حُفر تخزين للحبوب؛ ووجود مقابر؛ ووجود بعضًا من القوارض المنزلية مثل الفأر؛ وموسمية الصيد؛ وزيادة في التراكمات الترابية والأثرية^(٥٠)؛ بالإضافة إلى وجود المواقع. ولكن، ليس بالضرورة وجود بعض الشواهد مثل الأبنية الحجرية وحفر التخزين تدل على الاستقرار الدائم^(٥١)، وأن زيادة سماكة التراكمات الترابية والأثرية ربما تعكس استخدام الموقع خلال فصول معينة من السنة، ولكن على مدار أجيال كثيرة^(٥٢).

تكونت بيوت هذه الثقافة من غرفة واحدة لكل وحدة سكنية، وكان شكلها بيضاويًا أو دائريًا بقطر يتراوح بين ٥، ١م - ١٤م^(٥٣). بنيت جدرانها من الخشب أو الطين على أساسات حجرية؛ وبنيت سقوفها من الخشب والقصب والطين، واستندت في الغرف الكبيرة على

دعامات خشبية مثبتة على بلاط حجري موضوع في وسط تلك الغرف^(٥٤). أما أرضياتها، والتي كان مستواها منخفضاً عن مستوى المحيط القريب، فقد عملت من التربة المدكوكة، أو من طبقة طينية، أو من رصفة حجرية. عثر في غالبية هذه البيوت على أدوات طحن وجرش الحبوب، ومواقد، وحفر التخزين؛ بالإضافة إلى أن أرضيات وجدران بعض هذه الغرف كان مزخرفاً بالدهان بأشكال هندسية، كالتي عُثر عليها في عين الملاحه، والمربيط. فيما يلي نعرض قرية عين الملاحه، والتي تعتبر إحدى القرى النموذجية لهذه الثقافة في فلسطين، وذلك لتتعرف أكثر على النسيج المعماري للقرى النطوفية. تقع عين الملاحه إلى الشمال من بحيرة طبريا بحوالي ٢٥ كم، وتبلغ مساحتها ٢٠٠٠ متراً مربعاً تقريباً، وتم التنقيب في مساحة ٢٥٠ متر مربع منها فقط. عثر فيها على عدة بيوت سكنية قُسمت طبقياً إلى مرحلتين: مبكرة ومتأخرة. امتازت بيوت المرحلة المبكرة بأنها كانت واسعة، ويصل قطرها حتى ٧م؛ في حين أن بيوت المرحلة المتأخرة كانت صغيرة المساحة بقطر ٥,٣م في المعدل. بنيت جدران بيوت هذه القرية، والتي تبلغ بقايا ارتفاع بعضها ١م، من الطين على أساسات حجرية؛ وعثر في أرضية إحدى غرفها على سبع حفر ضحلة مرتبة في صفين اثنين، والتي يعتقد بأنها كانت مخصصة لتثبيت دعامات خشبية لحمل السقف. تكونت أرضية هذه البيوت من رصفة حجرية، أو من الطين؛ وقد تميزت بعضها بوجود مصطبتين فوق بعضهما، الأمر الذي يعني بأن ساكنيها قاموا بإجراء إصلاحات إنشائية على بيوتهم خلال فترة السكن فيها. ومن الملاحظ بأن كل بيت كان مزوداً بموقد واحد على الأقل وإلى جواره أدوات طحن وجرش الحبوب^(٥٥).

دفن النطوفيون موتاهم في حفر تحت أرضيات البيوت، أو بالقرب منها أو بعيداً عنها بشكل جماعي أو فردي إما على هيئة القرفصاء (شكل ٣: أ)، أو ممدودين على ظهورهم أو بطونهم أو على أحد جانبيهم^(٥٦)، ولا يوجد علاقة بين هيئة الدفن والعمر والجنس^(٥٧)؛

وزودوهم بمرفقات جنائزية شملت على أدوات الزينة المصنوعة من العظم والصدف (شكل ٣: ب)، والأدوات والأواني الحجرية، عوضاً عن قرون الحيوانات^(٥٨)، والسلاحف^(٥٩). وبالإضافة إلى طريقة الدفن هذه، والتي تنسحب على كل مواقع هذه الثقافة، فقد عمد الإنسان إلى فصل بعض من الجماجم عن بقية الهياكل العظمية مثل تلك التي عثر عليها في عين الملاحه، ووادي فلاح، ومغارة الحمام؛ ومن الملاحظ بأن هذه العادة أصبحت ظاهرة منتشرة في العصر اللاحق^(٦٠). كما شوهد بقايا مغرة حمراء على اثنتين من الجماجم التي تم العثور عليها في موقع الأزرق ١٨ / الأردن^(٦١)، وعلى بعض العظام البشرية في موقع شبيكة^(٦٢)١، وعلى عظام بشرية كشف عنها في وادي الحمة ٢٧^(٦٣). ومن المعتقد بأن إضافة اللون الأحمر على الجماجم وعظام الأطراف تعكس وضعاً اجتماعياً مميزاً لأصحابها^(٦٤).

على الرغم من أن مقابر هذه الفترة كانت عبارة عن حفر أرضية بسيطة، إلا إنها تباينت قليلاً فيما بينها: حيث كان بعضها مرصوف بحجارة صغيرة ومحاط من الأعلى (سطح الأرض) بدائرة حجرية، ووضع رأس المتوفى في بعضها على كومة من الحجارة الصغيرة أو بلاطة حجرية، وتم تغطية جسد المتوفى في عدد قليل منها ببلاط حجري قبل إعادة دفن الحفرة بالتراب، وبنيت جوانب بعضها بحجارة وتم تغطية جسد المتوفى ببلاط حجري، وحواف قليل منها كانت مكسيّة بطبقة ملاط^(٦٥)، وقد تم تمييز بعض القبور بوضع جُرن بازلتي فوقه، أو حجر محفور على إحدى جوانبه تجويف يشبه الصحن الصغير، أو أنبوب حجري "stone pipe"^(٦٦). وقد عثر على إحدى البلاطات الحجرية التي كانت جزءاً من قبر في مغارة رقيفت/ جبال الكرمم وعليها نحت غائر بشكل إنسان يوحى بالحركة، ربما تمثل رقصة أو أداء طقس جنائزي أثناء الدفن أو تذكاريًا للمتوفى^(٦٧). وتعتبر مغارة الحمام إحدى المغاور الطبيعية التي تم العثور فيها على عدد كبير من القبور المؤرخة إلى فترة الثقافة

النتوفية، حيث تم الكشف عن بقايا ٥٥ هيكل عظمي في ١٧ قبر، منها ٧١٪ لبالغين (٤٢٪ ذكور، و١٣٪ إناث، و١٦٪ لم يتم تحديد جنسهم)، و٢٩٪ لأطفال غالبيتهم توفوا بين سن الثالثة والسادسة^(٦٨). وكذلك تم الكشف عن عدد كبير من الهياكل العظمية البشرية بداخل مغارة الواد وفي شرفتها الأمامية. وقد لوحظ بأن غالبية الأموات خلال المرحلة المبكرة من الثقافة النتوفية دفنوا بداخل المغارة، في حين غالبية أموات المرحلة المتأخرة من نفس الثقافة دفنوا في الشرفة. وقد امتازت مقابر مغارة الواد بأنها عبارة عن حفر بسيطة، وقد استخدمت هذه الحفر للدفن الفردي والدفن الجماعي^(٦٩).

استخدم النتوفيون مواد أولية متعددة في صناعة أدواتهم وأوانيهم ذات الاستخدام اليومي مع العلم بأن الحجارة كانت هي السائدة، وصنع منها الأدوات الهندسية الصغيرة (شكل ٣: ج)، والمقاشط، ورؤوس السهام، وشفرات المناجل، والسكاكين، وأدوات الطحن والجرش والدق (شكل ٣: د). كما صنعوا تماثيلاً صغيرة بطريقة بسيطة ومختزلة بأشكال بشرية وحيوانية من الحصى، والعظم، والصلصال؛ وكان بعضها يمثل العضو البشري الذكري أو الأنثوي. بالإضافة إلى ذلك صنع النتوفيون حلياً من الحجر، والعظم (شكل ٣: هـ)، والصدف^(٧٠)، والأسنان^(٧١)؛ وكانت الواحدة منها - بعد أن تثقب - تجمع إلى الأخرى بواسطة خيط لتشكيل سواراً، أو عقداً (شكل ٣: و)^(٧٢). ومن الراجح بأن الإنسان حصل على الصدف البحري الذي استخدم في صناعة الحلي من البحر الأحمر ومن نهر النيل، في حين أنه حصل على الحجارة الملونة - وبالأخص خضراء اللون - من سوريا، أو الأردن، أو سيناء^(٧٣). وأهم الكهوف والمواقع الأثرية التي عثر فيها - حتى اللحظة - على شواهد فنية في فلسطين، هي: مغارة الحمام، ومغارة الواد، ومغارة كبارا، ومغارة أم الزويتينة، وعين الملاحه، ووادي فلاح، وعين صخري. عثر في قبر لفتاة في مغارة الحمام على ١٤ قطعة عظمية مصنوعة من عظام الطيور كانت تشكل إسواره، بالإضافة إلى العثور على ٤٥ قطعة أخرى مصنوعة

من عظام الطيور وكانت مستخدمة في صناعة قلائد وأساور^(٧٤). وعثر في مغارة الواد على مقبض منجل عظمي منحوت عليه هيئة غزال، وأقراط عظمية، بالإضافة الى كتلة حجرية صغيرة نحت عليها هيئة آدمية. كما عثر في مغارة كبارا على مقابض عظمية لمناجل منحوت على أربعة منها هيئة رؤوس حيوانات^(٧٥). أما الشاهد الفني الذي تم العثور عليه في مغارة أم الزيتينية فهو عبارة عن حجر رملي منحوت عليه هيئة حيوانية، وكان مطلياً باللون الأحمر^(٧٦). كما عثر في عين الملاحه على عشرة قطع من الحلي المصنوع من عظام الطيور، كما عثر على خمس حصوات من حجر الكلسايت: نقش على واحدة منها هيئة آدمية مفقودة الرأس وكانت مطلية بالمغرة الحمراء، ونقش على اثنتين منها هيئة وجه آدمي، ونقش على اثنتين أخريين زخارف هندسية^(٧٧). وعثر في وادي فلاح على قرن غزال مصقول نقش على نهايته هيئة حيوانية، كما عثر على حصوة من حجر الكلسايت منقوش عليها هيئة رأس حيوان مزدوج. أما في عين صخري، فقد عثر على تمثال حجري عُرف بتمثال "الغرام". ويلاحظ من فن النحت الذي مارسه الإنسان خلال الفترة النطوفية التركيز على تجسيم الغزال، وربما يكون الدافع لهذا التجسيم اقتصادياً، وذلك بحكم أن الغزلان قد تم اصطيادها بكثرة؛ أو ينطوي على دلالة دينية؛ أو للتعبير عن علاقة رمزية تجمع بين الصيد والحصاد^(٧٨).



شكل ٣: أدوات وأوانٍ نطوفية: أ: دفن القرفصاء (Valla et al 2017: Fig. 34.3.A)،
ب: مجموعة امرأة نطوفية مزينة بالحلي من مغارة الواد (Bar-Yosef 1998: Fig.5)، ج: أدوات
صوانية هندسية (Belfer-Cohen and Goring-Morris 2020: Fig. 4.A)، د: أدوات
الجرش والطحن الحجرية (Belfer-Cohen and Goring-Morris 2020: Fig. 4.J)، هـ:
أدوات زينة عظمية وحجرية (Belfer-Cohen and Goring-Morris 2020: 4.B)، و: عقد
نطوفي (https://www.picuki.com/media/ 2370435676725212990).

في حين أن بعضًا من المواقع النطوفية قد هجر تمامًا مع نهاية مرحلة الثقافة النطوفية، مثل: عين الملاحه، والواد، وكبارًا؛ إلا إن عددًا منها استمر السكن فيه، مثل: وادي فلاح، وتل السلطان/ أريحا، والخيام، وأن سكانها النطوفيين قد طوروا من أسلوب معيشتهم وأسسوا قرى زراعية خلال العصر الحجري الحديث^(٧٩).

الخاتمة:

تشير نتائج التنقيبات الأثرية إلى أن الإنسان قد سكن في فلسطين منذ حوالي ١,٥ مليون سنة، وأنه استمر فيها دون انقطاع حتى الوقت الحالي. عاش إنسان العصر الحجري القديم الأدنى، والأوسط، والأعلى متنقلاً بين الكهوف والملاجئ الطبيعية والمخيمات الموسمية التي أقامها في المناطق المفتوحة؛ واعتمد اقتصاده على صيد الحيوانات، والطيور، والأسماك، وعلى جمع بذور النباتات والتقاط ثمار الأشجار البرية. ومع تحسن الظروف المناخية خلال العصر الحجري الوسيط، قام الإنسان بالخروج التدريجي من الكهوف الطبيعية وأسس قرى مؤقتة ودائمة متباينة المساحة كانت بيوتها دائرية أو بيضاوية الشكل؛ ولكن، بقي اقتصاده معتمداً - كسلفه - على الصيد والجمع والالتقاط.

عثر على عدد قليل نسبياً من القبور التي تؤرخ إلى العصر الحجري القديم الأدنى، والأوسط، والأعلى؛ ولكن على عدد أكبر منها من العصر الحجري الوسيط. وقد دُفن الموتى خلال العصر الحجري القديم في حفر أرضية بسيطة في مكان الإقامة إما بشكل فردي أو جماعي هيئة القرفصاء، وتم تزويدهم بمرفقات جنازية اشتملت على الأدوات الحجرية، والصدف، وقرون الحيوانات، ولحوم الغزلان. وفي فترة الثقافة الكبارية، دُفن الموتى - كما في السابق - في حفر أرضية بسيطة داخل كهوف أو تحت أرضيات البيوت بشكل فردي أو جماعي؛ وتم تزويدهم بمرفقات جنازية اشتملت على الأدوات الصوانية والعظمية، وأدوات طحن الحبوب، والمغرة الحمراء، ولحوم وأنوية قرون الحيوانات، وحصى مزخرف، وصدف. أما خلال فترة الثقافة النطوفية، فقد طرأ بعض التغير على مكان وجود القبور وطريقة تحضيرها لاستقبال الموتى، وكذلك على العادات الجنازية؛ حيث دُفن الموتى في حفر تحت أرضيات البيوت، أو بالقرب منها أو بعيداً عنها بشكل جماعي أو فردي إما على هيئة

القرفصاء، أو ممدودين على ظهورهم أو بطونهم أو على أحد جانبيهم. وبالرغم من أن مقابر هذه الفترة كانت عبارة عن حفر أرضية بسيطة، إلا إنها تباينت قليلاً فيما بينها: حيث كان بعضها مرصوف بحجارة صغيرة ومحاط من الأعلى بدائرة حجرية، ووضع رأس المتوفي في بعضها على كومة من الحجارة الصغيرة أو بلاطة حجرية، وتم تغطية جسد المتوفي في عدد قليل منها ببلاط حجري قبل إعادة دفن الحفرة بالتراب، وبنيت جوانب بعضها بحجارة وتم تغطية جسد المتوفي ببلاط حجري، وحواف قليل منها كانت مكسيّة بطبقة ملاط. وقد تم تزويد الموتى بمرفقات جنازوية شملت على أدوات الزينة المصنوعة من العظم والصدف، والأدوات والأواني الحجرية، وقرون الحيوانات، والسلاحف. وفي المرحلة الثانية من فترة هذه الثقافة، قام الإنسان بفصل بعض من الجماجم عن بقية الهياكل العظمية، ومن الملاحظ بأن هذه العادة أصبحت ظاهرة منتشرة في العصر الحجري الحديث.

بناء على نتائج الحفريات الأثرية التي أجريت في منطقة بلاد الشام، يبدو بأن هناك ندرة للشواهد الأثرية الدالة على الفنون خلال العصر الحجري القديم بمراحله المختلفة، وزيادة نوعية وكمية لها خلال العصر الحجري الوسيط، وخصوصاً في فترة الثقافة النطوفية. وقد لوحظ بأن العظم والحجر والصدف كانت المواد الأولية المفضلة لتشكيل مواد فنية خلال العصر الحجري الوسيط، والتي اشتملت على حُليّ مصنوعة من عظام الطيور والأسنان، ومقابض المناجل المصنوعة من العظم والمزخرفة بهيئات حيوانية، والحصى المنحوت عليه هيئات بشرية وأشكال هندسية وحيوانية وبعضها كان مطلياً بالمغرة الحمراء. إن هذه الشواهد (وإن كانت قليلة مقارنة معها في أوروبا) تعكس تطور الذوق الفني لإنسان منطقة بلاد الشام خلال العصور الحجرية الأولى، وأن دلالاتها قد تكون اجتماعية أو دينية.

هوامش البحث:

- (١) معاوية إبراهيم: فلسطين: من أقدم العصور إلى القرن الرابع قبل الميلاد. الموسوعة الفلسطينية، المجلد الثاني، بيروت ١٩٩٠، ص ١٥.
- (٢) زيدان كفاي: بلاد الشام في العصور القديمة (من عصور ما قبل التاريخ حتى الإسكندر المقدوني)، شروق، عمان، ٢٠١١، ص ٢٨-٣٠.
- (٣) نعيم بارود، ورائد صالح: جغرافية فلسطين، غزة، ١٩٩٦، ص ٨١-٨٣.
- (٤) معاوية إبراهيم: فلسطين: من أقدم العصور، ص ١٥-٢٠.
- (٥) E. Hovers, The lithic assemblages of Qafza cave, Oxford, Oxford University Press, 2009, Pp. 247-249.
- (٦) زيدان كفاي: بلاد الشام، ص ٨٧.
- (٧) محمد غلاب ويسرى الجوهري: الجغرافيا التاريخية: عصر ما قبل التاريخ وفجره، الطبعة الثانية، مطبعة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٥، ص ٣٧-٤٠.
- (٨) R. Larick and R. Ciochon, The African emergence of early Aslan dispersals of the genus Homo, in American Scientists, no. 84 (6), 1996, Pp. 538-539.
- (٩) سلطان المحيسن: بلاد الشام في عصور ما قبل التاريخ: الصيادون الأوائل، الأبجدية للنشر، دمشق، ١٩٨٩، ص ٣٣-٣٩، ٧١، ١١٥.
- (١٠) زيدان كفاي: بلاد الشام، ص ٨٩-٩٢؛ سلطان المحيسن: بلاد الشام في عصور، ص ٦٩-٩٣.
- (١١) L. Binford, Willow smoke and dog's tails: Hunter-gatherer settlement systems and archaeological site formation, in American Antiquity, no 40 (1), 1980, Pp. 5-10.
- (١٢) M. Ullman, E. Hovers, N. Goren-Inbar, and A. Frumkin, Levantine cave dwellers: geographic and environmental aspects of early humans use of caves, case study from Wadi Amud, Northern Israel, in, M. Filippi and P. Bosak (eds.), Proceedings of 16th international congress of speleology, volume I. Brno, Czeck Republi, 2013, Pp. 169-171.
- (١٣) G. Rollefson, The lower and middle paleolithic of the southern Levant, in (eds.) Assaf Yasur-Landau, Eric Cline and Yorke Rowan, The social archaeology of the Levant from prehistory to the present, Cambridge, Cambridge University Press, 2018, Pp. 9-22.
- (١٤) سلطان المحيسن: بلاد الشام في عصور، ص ٧٢-١٠٤.

- (١٥) سلطان المحيسن: بلاد الشام في عصور، ص ٧٠-١١٢؛ زيدان كفافي: بلاد الشام، ص ٩٥-٩٠.
- (١٦) سلطان المحيسن: سوريا في عصور ما قبل التاريخ، مجلة دراسات تاريخية، ١٩٨٧، ص ٢٥-٢٦؛ سلطان المحيسن: بلاد الشام في عصور، ص ٩٠-١١٠؛ زيدان كفافي: بلاد الشام، ص ٩٤-٩٠.
- (١٧) سلطان المحيسن: سوريا في عصور، ص ١٤٣.
- (18) A. Marshack, The Berekhat Ram figurine: a late Acheulian carving from the Middle East-La figurine de Berekhat Ram: Une sculpture de l'Acheuléen tardif du Moyen Orient, in *Antiquity*, no. 71/272, 1997, Pp. 327-337.
- (19) J. Jaubert, *Chasseurs et artisans du Moustérien*, La Maison des roches, 1999, P. 152.
- (20) J-M. Tejero, R. Rabinovich, R. Yeshurun, T. Abulafia, and O. Bar-Yosef, O. et al, Personal ornaments from Hayonim and Manot caves (Israel) hint at symbolic ties between the Levantine and the European Aurignacian, in *Journal of Human Evolution*, no.160, 2021, Pp. 10-60.
- (21) C. Belfer, and O. Bar-Yosef, The Aurignacian at Hamam Cave, *Paléorient* no. 7 (2), 1981, Fig.8.
- (22) A. Rust, *Die Höhlenfunde von Jabrud (Syrien)*, K. Wachbaltz, Neumiinster, 1950, Pp. 66-67.
- (23) S. Kuhn, M. Steiner, D. Reese, and E. Gulec, E. (2001). Ornaments of earliest upper Paleolithic: new insights from the Levant. in *PNAS*, no. 98 (13), 2001, P. 7642.
- (٢٤) حسام غازي: فنون العصر الحجري القديم (الباليوليت) في بلاد الشام، مجلة دراسات تاريخية ١٤٢، ٢٠٢١، ص ١٥٣؛ ١٤٧-١٨٦؛
- M. -L. Inizan, *Coquillages de Ksar-Aqil: éléments de parure?*, in *Paléorient* no. 4 (1), 1978, Pp. 295-306.
- (٢٥) زيدان كفافي: بلاد الشام، ص ٩٢؛ سلطان المحيسن: بلاد الشام في عصور، ص ١٠٢-١٠٤.
- (٢٦) معاوية إبراهيم: فلسطين: من أقدم العصور، ص ٢٦.
- (27) B. Vandermeersch, and O. Bar-Yosef, The Paleolithic burials at Qafza cave, Israel, in *PALEO*, no. 30 (1), 2019, Pp. 263-268.
- (٢٨) زيدان كفافي: بلاد الشام، ٩٦-١٠٠.
- (٢٩) نفسه، ص ٩٩-١٠١.

- (30) A. Belfer-Cohen and N. Goring-Morris, From the Epipaleolithic into the earliest Neolithic (PPNA) in the southern Levant. *Documenta Praehistorica*, no. XLVII, 2020, Pp. 36-44.
- (31) زيدان كفاي: بلاد الشام، ص ٩٩-١٠١.
- (32) خالد أبو غنيمه: بواكير القرى الأولى وبداية الاستقرار في بلاد الشام، مجلة دراسات تاريخية، العددان ٧١-٧٢، ٢٠٠٠، ص ٩.
- (33) D. Nadel, The Ohalo II brush huts and the dwelling structures of the Natufian and PPNA sites in the Jordan valley, in *Archaeology, ethnology & Anthropology of Eurasia*, no. 1 (13), 2000, Pp. 35-39.
- (34) خالد أبو غنيمه: بواكير القرى الأولى، ص ١٠.
- (35) L. Maher, T. Richter, and J. Stock, The Pre-Natufian Epi-Paleolithic: Long-term behavioral trends in the Levant, in *Evolutionary Anthropology*, no. 21, 2012, Pp. 75-76.
- (36) خالد أبو غنيمه: بواكير القرى الأولى، ص ١٤.
- (37) D. Olszewski, The Paleolithic period, including the Epipaleolithic, in (ed) Russel B. Adams, *Jordan: An archaeological reader*, London, Oakville, 2008, Pp. 51-53.
- (38) زيدان كفاي: بلاد الشام، ص ١٠٤.
- (39) نفسه.
- (40) J. Mellaart, *Earliest civilizations of the Near East*. London, Thames and Hudson, 1965, P. 23.
- (41) زيدان كفاي: بلاد الشام، ص ١٠٤.
- (42) A. Belfer-Cohen and N. Goring-Morris, Op. cit. 36-43.
- (43) زيدان كفاي: بلاد الشام، ص ١٠٥-١١٢. J. Mellaart, *Earliest civilizations*, P. 23.
- (44) M. Hirose, M. Belmaker, S. Kadowaki, S. Massadeh, and D. Henry, Epipaleolithic hunting in an arid area of the Levant: faunal remains from Hamar, southern Jordan, in *Orient*, no. 57, 2022, Pp. 21-42.
- (45) A. Pedergana, E. Cristiana, N. Munro, F. Valletta and G. Sharon, Early line and hook fishing at the Epipaleolithic site of Jordan River Dureijat (Northern Israel), in *PLoS one*, no. 16 (10), 2021, Pp. e0257710.
- (46) زيدان كفاي: بلاد الشام، ص ١٠٥-١١٢.

- (٤٧) خالد أبو غنيمه: بواكير القرى الأولى، ص ١٥؛
B. Boyd, On 'sedentism' in the later Epipaleolithic (Natufian) Levant, in World Archaeology, no. 38 (2), 2006, P. 166.
- (٤٨) معاوية إبراهيم: فلسطين: من أقدم العصور، ص ٣٣.
- (٤٩) S. Jammo, Beyond death: the tale of a Neolithic society and the study of an outdoor communal cemetery at Tell el-Kerkh, northwest Syria, PhD Dissertation, University of Tsukuba, 2018.
- (٥٠) B. Boyd, Op. cit., 166.
- (٥١) P. Edwards, Problems of recognising earliest sedentism: the Natufian example, in Journal of Mediterranean Archaeology, no 2, 1989, Pp. = 5-48; O. Bar-Yosef, and A. Belfer-Cohen, From foraging to farming in the Mediterranean Levant, in Transitions to Agriculture in Prehistory (eds A. B. Gebauer and T. D. Price), Madison, WI: Prehistory Press, 1992, Pp. 21-48.
- (٥٢) P. Edwards, Op. cit., Pp. 5-48.
- (٥٣) B. Boyd, Op. cit., 166.
- (٥٤) خالد أبو غنيمه: بواكير القرى الأولى، ص ١٥-١٦؛ S. Jammo, Op. cit., 8.
- (٥٥) F. Valla, H. Khalaily, N. Samuelian, F. Bocquentin, A. Bridault, and R. Rabinovich, Eynan (Ain Mallaha), in (eds.) Yehouda Enzel and Ofer Bar-Yosef, Quaternary of the Levant: Environment, climate change, and humans, Cambridge University Press, 2017, Pp.295-299.
- (٥٦) F. Valla, Op. cit., Pp. 295-297.
- (٥٧) L. Grosman and A. Belfer-Cohen, Insights into Natufian social identity: A case study from the graveyard of Hayonim cave, in Cambridge Archaeological Journal, no. 33 (2), 2022, P. 250.
- (٥٨) F. Valla et al, Op. cit., Pp. 295-297.
- (٥٩) L. Grosman, and N. Munro, A Natufian ritual event, in Current Anthropology, no. 57 (3), 2016, Pp. 311-331.

- ⁽⁶⁰⁾ O. Bar-Yosef, The Natufian culture in the Levant, threshold to the origins of agriculture, in *Evolutionary Anthropology*, no. 6 (5), 1998, P. 164; L. Grosman, and A. Belfer-Cohen, *Op. cit.*, P. 249.
- ⁽⁶¹⁾ F. Bocquentin, and A. Garrard, Natufian collective burial practice and cranial pigmentation: A reconstruction from Azraq 18 (Jordan), in *Journal of Archaeological Science Reports*, no. 10, 2016, Pp. 700-701.
- ⁽⁶²⁾ T. Richter, E. Bocaage, et al, Ochre, ground stone and wrapping the dead in the Late Epipalaeolithic (Natufian) Levant: revealing the funerary practices at Shubayqa 1, Jordan, in *Journal of Field Archaeology*, no. 44 (6), 2019, Pp 5-6.
- ⁽⁶³⁾ P. Edwards, and S. Webb, The Natufian human skeletal remains from Wadi Hammeh 27 (Jordan), in *Paléorient*, no. 28 (1), 2002, Pp. 103-123.
- ⁽⁶⁴⁾ F. Bocquentin, and A. Garrard, *Op. cit.*, Pp. 700-701.
- ⁽⁶⁵⁾ S. Jammo, *Op. cit.*, P 7; G. Lengyel, and F. Bocquentin, Burials of Raqefet cave in the context of the Late Natufian, in *Journal of the Israel Prehistoric Society*, no. 35, 2005, P 282; A. Belfer-Cohen, The Natufian graveyard in Hayonim cave, in *Paleorient*, no. 14 (2)1988, P. 300.
- ⁽⁶⁶⁾ L. Grosman, and A. Belfer-Cohen, *Op. cit.*, P. 248.
- ⁽⁶⁷⁾ D. Rosenberg, R. Ghasan, G. Lengyel and D. Nadel, Stone 'canvas' and Natufian art: An incised human figure from the Natufian cemetery at Raqefet cave, Israel, in *Oxford Journal of Archaeology*, no. 39 (2), 2020, Pp. 131-134.
- ⁽⁶⁸⁾ L. Grosman, and A. Belfer-Cohen, *Op. cit.*, Pp. 248-250.
- ⁽⁶⁹⁾ S. Jammo, *Op. cit.*, P. 10-11.
- ⁽⁷⁰⁾ زيدان كفاي: بلاد الشام، ص ١٠٨-١١١.
- ⁽⁷¹⁾ A. Belfer-Cohen, The Natufian in the Levant, in *Annual Review of Anthropology*, no. 20, 1991, P. 171.
- ⁽⁷²⁾ زيدان كفاي: بلاد الشام، ص ١٠٨-١١١.
- ⁽⁷³⁾ A. Belfer-Cohen, *Op. cit.*, P. 171.

(74) O. Bar-Yosef, The archaeology of the Natufian layer at Hamam Cave, in O. Bar-Yosef F. Valla (eds), The Natufian Culture in the Levant, International Monographs in Prehistory, Archaeological, Series 1, 1991.

(٧٥) حسام غازي: فنون العصر الحجري القديم، ص ١٥٦-١٥٨.

(٧٦) جاك كوفان: ديانات العصر الحجري الحديث في بلاد الشام، ترجمة سلطان المحيسن، دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٩٨٨، ص ٢٦-٢٨.

(77) F. Valla, Les Natoufiens de Mallaha et l'espace, in O. Bar Yosef and F. Valla (eds.), The Natufian culture in the Levant, International Monographs in Prehistory, Archaeological Series 1, Michigan, 1991.

(٧٨) جاك كوفان: ديانات العصر الحجري الحديث، ص ٢٨-٣٦.

(٧٩) معاوية إبراهيم: فلسطين: من أقدم العصور، ص ٣٤.

المراجع العربية:

- معاوية إبراهيم: فلسطين: من أقدم العصور إلى القرن الرابع قبل الميلاد، الموسوعة الفلسطينية، المجلد الثاني، مركز الأبحاث الفلسطيني، بيروت، ١٩٩٠م.
- خالد أبو غنيمه: بواكير القرى الأولى وبداية الاستقرار في بلاد الشام، مجلة دراسات تاريخية، العددان ٧١-٧٢، ص ٩، ٢٠٠٠م.
- حسام غازي: فنون العصر الحجري القديم (الباليوليت) في بلاد الشام، مجلة دراسات تاريخية ١٤٢: ١٤٧-١٨٦، ٢٠٢١م.
- محمد غلاب ويسرى الجوهري: الجغرافيا التاريخية: عصر ما قبل التاريخ وفجره، الطبعة الثانية، مطبعة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٥م.
- زيدان كفاقي: بلاد الشام في العصور القديمة (من عصور ما قبل التاريخ حتى الإسكندر المقدوني)، شروق، عمان، ٢٠١١م.
- جاك كوفان: دياناات العصر الحجري الحديث في بلاد الشام، ترجمة سلطان المحيسن، دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٩٨٨م.
- سلطان المحيسن: سوريا في عصور ما قبل التاريخ، مجلة دراسات تاريخية ٢٥-٢٦، ص ١٣٨-١٤٢، ١٩٨٧م.
- سلطان المحيسن: بلاد الشام في عصور ما قبل التاريخ: الصيادون الأوائل، الأبجدية للنشر، دمشق، ١٩٨٩م.

References

- Belfer-Cohen and N. Goring-Morris, From the Epipaleolithic into the earliest Neolithic (PPNA) in the southern Levant. Documenta Praehistorica, no. XLVII, Pp. 36-52, 2020.
- Belfer-Cohen, "The Natufian graveyard in Hayonim cave", in Paleorient, Vol. 14, N. 2, Pp. 297-308, 1988.
- Belfer-Cohen, "The Natufian in the Levant", in Annual Review of Anthropology, Vol. 20, Pp. 167-186, 1991.
- Marshack, "The Berekhat Ram figurine: a late Acheulian carving from the Middle East-La figurine de Berekhat Ram: Une sculpture de l'Acheuléen tardif du Moyen Orient", in Antiquity, Vol. 71, N. 272, Pp. 327-337, 1997.
- Pedergana, E. Cristiana, N. Munro, F. Valletta, and G. Sharon, "Early line and hook fishing at the Epipaleolithic site of Jordan River Dureijat (Northern Israel)", in PLoS one, Vol. 16, No. 10, Pp. e0257710, 2021.
- Rust, Die Höhlenfunde von Jabrud (Syrien), K. Wachbaltz, Neumiinster, 1950.
- Boyd, "On 'sedentism' in the later Epipaleolithic (Natufian) Levant", in World Archaeology, Vol. 38, N. 2, Pp. 164-178, 2006.
- Vandermeersch, and O. Bar-Yosef, "The Paleolithic burials at Qafza cave, Israel", PALEO, Vol. 30, N. 1, Pp. 256-275, 2019.

- Bar-Yosef, O. The archaeology of the Natufian layer at Hamam Cave, in O. Bar-Yosef and F. Valla (eds). The Natufian Culture in the Levant. International Monographs in Prehistory, Archaeological, Series 1, 1991.
- Belfer, and O. Bar-Yosef, "The Aurignacian at Hamam Cave", in Paléorient, Vol. 7, N. 2, Pp. 19-42, 1981.
- Nadel, "The Ohalo II brush huts and the dwelling structures of the Natufian and PPNA sites in the Jordan valley", in Archaeology, ethnology & Anthropology of Eurasia, Vol. 1, N. 13, Pp. 34-48, 2000.
- D. Olszewski, The Paleolithic period, including the Epipaleolithic, in (ed) Russel B. Adams, Jordan: An archaeological reader, London: Oakville, Pp. 51-53, 2008.
- D. Rosenberg, R. Ghasan, G. Lengyel, and D. Nadel, "Stone 'canvas' and Natufian art: An incised human figure from the Natufian cemetery at Raqefet cave, Israel", in Oxford Journal of Archaeology, Vol. 39, N. 2, Pp. 128-140, 2020.
- Hovers, The lithic assemblages of Qafza cave, Oxford University Press, Oxford, 2009.
- Bocquentin and A. Garrard, "Natufian collective burial practice and cranial pigmentation: A reconstruction from Azraq 18 (Jordan)", in Journal of Archaeological Science Reports, Vol 10, Pp. 693-702, 2016.

- F. Valla, H. Khalaily, N. Samuelian, F. Bocquentin, A. Bridault, and R. Rabinovich, Eynan (Ain Mallaha), in (eds.) Yehouda Enzel and Ofer Bar-Yosef, Quaternary of the Levant: Environment, climate change, and humans, Cambridge University Press, Pp. 295-299, 2017.
- F. Valla, Les Natoufiens de Mallaha et l'espace, in O. Bar Yosef and F. Valla (eds.), The Natufian culture in the Levant. International Monographs in Prehistory. Archaeological Series 1, Michigan, 1991.
- Lengyel, and F. Bocquentin, "Burials of Raqefet cave in the context of the Late Natufian", in Journal of the Israel Prehistoric Society, Vol. 35, Pp. 271-284, 2005.
- G. Rollefson, The lower and middle paleolithic of the southern Levant. In, (eds.) Assaf Yasur-Landau, Eric Cline and Yorke Rowan, The social archaeology of the Levant from prehistory to the present, Cambridge University Press, Cambridge, Pp. 9-22, 2018.
- Jaubert, Chasseurs et artisans du Moustérien. La Maison des roches, 1999.
- Mellaart, Earliest civilizations of the Near East. London, Thames and Hudson, 1965.
- J-M. Tejero, R. Rabinovich, R. Yeshurun, T. Abulafia, O. Bar-Yosef, et al, "Personal ornaments from Hayonim and Manot caves (Israel) hint at

- symbolic ties between the Levantine and the European Aurignacian", in Journal of Human Evolution, Vol. 160, N. 2, Pp. Article 102870, 2021.
- Binford, "Willow smoke and dog's tails: Hunter-gatherer settlement systems and archaeological site formation", in American Antiquity, Vol. 40, N. 1, Pp. 4-20, 1980.
 - Grosman, and A. Belfer-Cohen, "Insights into Natufian social identity: A case study from the graveyard of Hayonim cave", in Cambridge Archaeological Journal, Vol. 33, N. 2, Pp. 247-264, 2022.
 - Grosman, and N. Munro, "A Natufian ritual event", in Current Anthropology, Vol. 57, N. 3, Pp. 311-331, 2016.
 - L. Maher, T. Richter, and J. Stock, "The Pre-Natufian Epi-Paleolithic: Long-term behavioral trends in the Levant", in Evolutionary Anthropology, Vol. 21, Pp. 75-76, 2012.
 - Hirose, M. Belmaker, S. Kadowaki, S. Massadeh, and D. Henry, "Epipaleolithic hunting in an arid area of the Levant: faunal remains from Hamar, southern Jordan", Orient, Vol. 57, Pp. 21-42, 2022.
 - M. Ullman, E. Hovers, N. Goren-Inbar, and A. Frumkin, Levantine cave dwellers: geographic and environmental aspects of early humans use of caves, case study from Wadi Amud, Northern Israel, in, M. Filippi and P. Bosak (eds.). Proceedings of 16th international congress of speleology, volume I. Brno, Czeck Republic, Pp. 169-174, 2013.

- M-L. Inizan, Coquillages de Ksar-Aqil: éléments de parure? Paléorient, Vol. 4, N. 1, Pp. 295-306, 1978.
- Bar-Yosef, "The Natufian culture in the Levant, threshold to the origins of agriculture", in Evolutionary Anthropology, Vol. 6, N. 5, Pp. 159-177, 1998.
- Bar-Yosef, and A. Belfer-Cohen, From foraging to farming in the Mediterranean Levant, in Transitions to Agriculture in Prehistory (eds) A. B. Gebauer and T. D. Price). Madison, WI: Prehistory Press, Pp. 21-48, 1992.
- Edwards, "Problems of recognising earliest sedentism: the Natufian example", in Journal of Mediterranean Archaeology, Vol. 2, Pp. 5-48, 1989.
- P. Edwards, and S. Webb, "The Natufian human skeletal remains from Wadi Hammeh 27 (Jordan)", in Paléorient, Vol. 28, N. 1, Pp. 103-123, 2002.
- Larick, and R. Ciochon, "The African emergence of early Aslan dispersals of the genus Homo", in American Scientists, Vol. 84, N. 6, Pp. 538-551, 1996.
- Jammo, Beyond death: the tale of a Neolithic society and the study of an outdoor communal cemetery at Tell el-Kerkh, northwest Syria, PhD Dissertation, University of Tsukuba, 2018.

- Kuhn, M. Steiner, D. Reese, and E. Gulec, "Ornaments of earliest upper Paleolithic: new insights from the Levant", in PNAS, Vol. 98, N. 13, Pp. 7641-7646, 2001.
- Richter, E. Bocaege, E. et al, "Ochre, ground stone and wrapping the dead in the Late Epipalaeolithic (Natufian) Levant: revealing the funerary practices at Shubayqa 1, Jordan", in Journal of Field Archaeology, Vol. 44, N. 6, Pp. 1-18, 2019.